{ الجزء التاسع } { المجلد الثاني عشر }

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

{ مصر – الخميس ٣٠ رمضان ١٣٢٧ – ١٤ أكتوبر (تشرين الأول) ١٢٨٥هـ ١٩٠٩م }

ابو حامد الغزالي (*)

٦

{ رأيه في اثبات مذهب أهل الحق من المسلمين }
« و في مذهب الباطنية اهل التعليم »

(وفيه رأيه في آيات النبوة وفي خروج المسلمين من الخلاف)

(تمهيد) كان الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين دينا واحدا والمسلمون أمة واحدة لا فرق فيهم ولا مذاهب ثم حدثت المذاهب في الاصول والفروع و وقع المسلمون فيما نهاهم الله تعالى عنه من الاختلاف والتفرق الى شيع متعددة كل شيعة منها تنتحل مذهبا ولم يضر المسلمين في دينهم ودنياهم شيء كهذا التفرق ولذلك لم يشدد القرآن في النهي عن شيء كما شدد في النهي عن الخلاف والتفرق كما بينا ذلك في تفسير القرآن الحكيم وفي مواضيع كثيرة من المنار

وكان شر المذاهب وأشأمها في هذه الامة مذهب الباطنية الذين ذهبوا الى ان للدين ظاهرا و باطنا وان الباطن منه هو الحق المراد لله تعالى وانه لا يمكن ان يعرف

*) تابع لما نشر في (ص ٦٠١) من المجلد الحادي عشر

من النظر في الكتاب والسنة بطرق النظر المعروفة في الاصول وقوانين اللغة التي للألفاظ والمعاني بل لا بد في كل عصر من إمام معصوم يؤخذ عنه الدين بالتسليم الأعمى حتى إذا قال إن الشمس والقمر في القرآن لا يراد بهما هذان الكوكبان المعروفان وانما يراد بهما فلان وفلان وجب تصديقه فلا يعارض شيء من تعليمه بمخالفة اللغة ولا العقل ولا النص !!!

وان لهذا المذهب بل الدين الذي ظهر بمظهر المذهب درجات في الاعتقاد ودرجات في الدعوة ليس هذا المكان بمحل لبيانها . والدرجة الاخيرة منها هي اعتقاد أن إمامهم هو الله الذي خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب (تعالى الله عما يقولون) وقد ظهروا في أطوار وتسموا بأسماء أشهرها في زمن الغزالي الاسماعيلية وكان رئيسهم يومئذ حسن بن الصباح الشهير . وآخر فرقهم المشهورة في زمننا هذا فرقة البابية أو البهائية من البابية

ما ظهرت بدعة ولا ضلالة قام بها أهل مذهب إلا ووصل الى غيرها من المذاهب شرها ، وسرى الى أهلها ضرها ، وكان أقرب الفرق الى الباطنية فرقة الشيعة لقولهم بعصمة الائمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم الرضوان والسلام) بل كانت الباطنية في الزمن الماضي والحاضر من الشيعة كالعبيديين بمصر والبابية في فارس ، وهم ليسوا في الحقيقة من الشيعة ولا من المسلمين والشيعة تقول بكفرهم كغيرها

كذلك يشتبه مذهبهم بمذهب الصوفية الذين يقولون ان للقرآن ظاهراً وباطنا وان للدين أسراراً لا يفهمها الا الخواص ، ولكن فرقا عظيما بين الصوفية والباطنية فالغزالي الذي كان أشد العلماء على الباطنية حتى انه صنف الكتب في الرد عليهم كان صوفيا يقول ان للدين اسراراً كما سيأتي عنه في هذه الترجمة مع بيان الفصل فيه بين الصوفية والباطنية

بل ان مقلدة المذاهب الاربعة في الفقه والمذهبين الاشعري والماتريدي في الكلام وهم من اتباع أئمة أهل السنة قد سرت اليهم دعوة الباطنية الاولى فعملوا بها في الغالب ، فجعلوا أئمتهم معصومين وان لم يسموهم معصومين فمبدأ التقليد عند اكثرهم ان الواجب اتباع ما ثبت في المذهب من غير بحث ولا دليل وانه لا يجوز رد شيء من

المذهب لما يظهر انه مخالف له من آية قرآنية وسنة نبوية ، بناء على ان امام المذهب وعلماءه اعلم بالكتاب والسنة فالقول مايقولونه وهوالدين الواجب اتباعه على كل أحد!

والفرق بينهم و بين الباطنية أن الباطنية تقول بامام واحد يتبع في كل شيء من الاصول والفروع وهم يقولون بإمامين في العقائدهما الاشعري والماتريدي وأربعة في فروع الاعمال كل من خالفهم يكون ضالا خارجا عن هداية الاسلام إما إلى الكفر أوالبدعة وإما إلى الفسق ؛ بل اوجبوا اتباع من لا يحصى عددهم من علماء هذه المذاهب وانلم يسموهم كلهم أئمة فهؤلاء مقلدة سنغافورة وجاوه يقدسون أحمد بن حجر الهيتمي و يوجبون اتباعه دينا في كل ما دوّنه في كتبه وان خالف نص الشافعي الذي هو إمامه «ولكل قوم ابن حجر»

اذا تمهد هذا فاعلم ان أبا حامد الغزالي قد أبطل في رده على الباطنية مذهبهم والنزعات التي سرت منه الى غيرهم من أهل المذاهب الاسلامية أو ما وافقه منها وان لم يكن بالسريان ، وأبطل التقليد مطلقا كما أبطله كتاب الله وسلف الامة حتى أئمة الفقه الاربعة ومن اخذ عنهم ، وأثبت انه ليس في البشر إمام معصوم يجب اتباعه غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني منذ بعثته الى آخر الزمان

أحسن ما وصل الينا من كتب أبي حامد في ابطال مذهب الباطنية و يسمى مذهب التعليم كتاب (القسطاس المستقيم) وهو يشرح فيه مناظرة دارت بينه و بين أحد دعاة الباطنية وسماه بهذا الاسم لأن الباطني لما سأله بماذا يزن معرفته أبالرأي والقياس الذي جرى عليه المسلمون في الاستنباط من النصوص وهو مثار الخلاف بين الناس ، لما فيه من التعارض والالتباس ، أم بميزان التعليم باتباع الامام المعصوم؟ اجابه أبو حامد بأنه يزنها بالقسطاس المستقيم كما أمر الله في كتابه . ثم استنبط له من القرآن خمسة موازين يعرف بها الحق من الباطل في كل علم . ثم بين له ان الشيطان له موازين تضل الناس وهي طرق الوساوس والاوهام ومسارب خطأ الناس في الفهم والعلم ، ثم شرح له المقصد الذي أشرنا اليه فقال

« القول في الاستغناء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعلماء أمته عن امام معصوم آخر »
« وبيان معرفة صدق محمد صلى الله عليه وسلم بطريق أوضح من النظر في المعجزات »
« وأوثق منه وهو طريق العارفين »

فقال (أي الباطني) : لقد أكلت الشفاء وكشفت الغطاء وأتيت باليد البيضاء لكن بنيت قصرًا وهدمت مصرًا فاني الى الآن كنت أتوقع ان أتعلم منك الوزن بالميزان واستغني بك وبالقرآن عن الامام المعصوم فالآن اذ ذكرت هذه الدقائق في مداخل الغلط فقد أيست من الاستقلال به فاني لا آمن ان أغلط لو اشتغلت بالوزن وقد عرفت الآن لمَ اختلف الناس في هذه المذاهب وذلك لانهم لم يتفطنوا لهذه الدقائق كما فطنت فغلط بعضهم وأصاب بعضهم فاذا أقرب الطرق لي ان أعول على الامام المعصوم حتى أتخلص من هذه الدقائق

قلت : يا مسكين معرفتك بالامام الصادق ليست ضرورية فهي اما أن تكون تقليدا للوالدين أو موزونة بشيء من هذه الموازين فان كل علم ليس أوليا فبالضرورة يكون حاصلا عند صاحبه بقيام هذه الموازين في نفسه وان كان هو لا يشعر به فانك عرفت صحة ميزان التقدير بانتظام الأصلين في ذهنك التجربي والحسي وكذلك سائر الناس وهم لا يشعرون به. ومن يعرف مثلا ان هذا الحيوان غير حامل لأنه بغل عرفه بانتظام الاصلين الذين ذكرناهما في صدر الكتاب وان كان لا يشعر بمصدر علمه وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك فأنت ان أخذت اعتقاد العصمة في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم تقليدا للوالدين والرفقاء لم تتميز عن اليهود والنصارى والمجوس فانهم كذلك فعلوا وان أخذته من الوزن بشيء من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقائقه فينبغي على زعمك ان لا تثق به

فقال : صدقت فأين الطريق فلقد سددت على طريق التعليم والوزن جميعا

قلت : هيهات راجع القرآن فلقد علمك الطريق إذ قال تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ولم يقل سافروا الى الامام المعصوم فاذا هم مبصرون فانت تعلم ان المعارف كثيرة فلو ابتدأت في كل

مشكلة سفرا الى الامام المعصوم بزعمك طال عناؤك وقل علمك لكن طريقك أن تتعلم مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان أشكل عليك شيء عرضته على الميزان وتفكرت في شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا أنت مبصر . وهذا كما لوحسبت ما للبقال عليك أولك عليه أو قسمت في مسئلة من مسائل الفرائض وشككت في الاصابة والخطأ فيطول عليك أن تسافر الى الامام المعصوم ولكن تحكم علم الحساب وتتذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد أخرى حتى تستيقن قطعا انك ما غلطت في دقيقة من دقائقها وهذا يعرفه من يعرف علم الحساب وكذلك من يعرف الوزن به كما أعرفه فينتهي به التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد أخرى الى اليقين الضروري بانه ما غلط ، فان لم تسلك هذه الطريق لم تفلح قط وصرت تشكك بلعل وعسى ولعلك قد غلطت في تقليدك لامامك بل للنبي الذي آمنت به فان معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية (أي ليست بديهية معلومة بالضرورة)

فقال : لقد ساعدتني على ان التعلم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بان كل واحد لا يمكنه أن يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان إلا منك فكأنك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فما برهانك ومعجزتك فان امامي اما أن يقيم معجزة واما ان يحتج بالنص المتعاقب من آبائه اليه فأين نصك وأين معجزتك ؟

فقلت : اما قولك انك تدعي الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني ارجو أن يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن أن يُتعلم منه كما يتعلم مني فلا أجعل التعليم وقفا على نفسي . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم أن الامام قد تعني به الذي يتعلم من الله بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسي وقد نعني به الذي يتعلم من الله بغير جبريل ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي عليٌ رضي الله عنه اماما فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسي . أما برهاني عليه فاوضح من النص ومما تعتقده معجزة فان ثلاثة انفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن فقلت ما برهانكم فقال أحدهم برهاني انه نص عليَّ الكسائي استاذ المقرئين اذ نص على استاذي واستاذي نص عليَّ فكأن الكسائي نص علي

وقال الثاني اني أقلب العصا حية فقلب العصا حية ؛ وقال : الثالث برهاني اني أقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شعري أي هذه البراهين أوضح عندك وقلبك بايها أشد تصديقا؟ فقال بالذي قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذلايخالجني فيه ريب،أما نص استاذه عليه ونص الكسائي على استاذه فيتصور ان تقع فيه اغاليط لا سيا عند طول الاسفار، وأما قلب العصا حية فلعله فعل ذلك بحيلة وتلبيس وان لم يكن تلبيسا فغايته انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن

قلت : فبرهاني اذاً أيضاً اني كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وأفهمت وازلت الشك عن قلبك في صحته فيلزمك الايمان بامامتي كما انك اذا تعلمت الحساب وعُلمته من استاذ فانه اذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بأن استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه ايضا في انه حاسب وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القمر ولا بقلب العصا حية بمجردها فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل ، فان التعارض في عالم الحس والشهادة كثير جدا لكني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المعاد وعذاب القبر وعذاب أهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتيقنت ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » فكانت معرفتي بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ضرورية كمعرفتك اذا رأيت رجلا عربيا يناظر في مسألة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتي بالفقه الصحيح الصريح فإنك لا تتمارى في انه فقيه ويقينك الحاصل به أوضح من اليقين الحاصل بفقهه لو قلب الف عصا ثعبانا لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتلبيس والطلسم وغيرها ولا يحصل العلم بالقرآن بينها و بين هذه الاشياء وكونها معجزة الا بعد بحث طويل ونظر دقيق ويحصل به ايمان ضعيف هو ايمان العوام والمتكلمين فإما إيمان

ار باب المشاهدة الناظرين من مشكاة الربوبية فلا يكون كذلك

فقال : فأنا أيضا اشتهي أن أعرف النبي صلى الله عليه وسلم كما عرفته وقد ذكرت ان ذلك لا يعرف الا بأن توزن جميع المعارف الالهية بهذا الميزان وما اتضح عندي ان جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذه الموازين فيم اعلم ذلك ؟

قلت : هيهات لا أدعي اني ازن بها المعارف الدينية فقط بل ازن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيقي غير وضعي فاني أميز حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم والميزان الذي هو رفيق الكتاب والقرآن في قوله تعالى « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » وأما معرفتك بقدرتي على هذا فلا تحصل لا بنص ولا بقلب العصا ثعبانا ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك بتجربة وامتحانا فمدعي الفروسية لا ينكشف صدقه حتى يركب فرسا ويركض ميدانا فسلني عما شئت من العلوم الدينية لاكشف لك الغطاء عن الحق فيه واحدا واحداً وازنه بهذا الميزان وزنا يحصل لك علم ضروري بأن الوزن صحيح وان العلم المستفاد منه مستيقن ومن لم يجرب لم يعرف.

فقال : وهل يمكنك ان تعرف جميع الحقائق والمعارف الإلهية جميع الخلق فترفع الاختلافات الواقعة بينهم ؟ قلت : هيهات لا أقدر عليه وكأن امامك المعصوم الى الآن قد رفع الاختلافات بين الخلائق وازال الاشكالات عن القلوب بل الانبياء متى رفعوا الاختلاف ومتى قدروا عليه؟ بل اختلاف الخلق حكم ضروري أزلي « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك » أفادعي أن أردّ قضاء الله الذي قضى به في الازل ؟ أو يقدر امامك ان يدعي ذلك ؟ فان كان يدعيه فلم اخره الى الآن والدنيا طافحة بالاختلافات ؟ وليت شعري أرئيس الامة علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان سبب رفع الاختلافات بين الخلق اوسبب تأسيس اختلافات لا تنقطع أبد الدهر؟!

« القول في طريق نجاة الخلق من ظلمات الاختلافات »

فقال : كيف نجاة الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت : إن اصغوا إليّ رفعت الاختلافات بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في إصغائهم فانهم لم يصغوا بأجمعهم

الى الأنبياء ولا الى امامك فكيف يصغون إليّ وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم في الازل بانهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم . وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب « جواب مفصل الخلاف » وهو الفصول الاثني عشر .

فقال : فلو أصغوا كيف كنت تفعل ؟ قلت : كنت أعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى إذ قال « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد » الآية وانما أنزل هذه الثلاث لأن الناس ثلاثة أصناف وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم .

فقال : فمن هم وكيف علاجهم ؟ قلت الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة البُلْهُ وهم أهل الجنة ، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة : أما الخواص فإني أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرتفع الخلاف بينهم على قرب وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال إحداها القريحة النافذة والفطنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها ، والثانية خلو باطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث ومسموع فان المقلد لا يصغي والبليد وان أصغى فلا يفهم ، الثالثة أن يعتقد فيَّ اني من أهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بأنك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلمه منك

والصنف الثاني البله وهم جميع العوام وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطلب بل شغلتهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضا داعية الجدل بخلاف المتكايسين في العلم مع قصور الفهم عنه فهؤلاء لا يختلفون ولكن يتخيرون بين الائمة المختلفين فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة كما ادعو أهل البصيرة بالحكمة وادعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة في آية واحدة كما تلوته عليك أولاً فأقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أهلا لذلك فقال « وماذا عملت في رأس العلم » أي

الايمان والتقوى والاستعداد للآخرة « اذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لاعلمك من غرائبه » فأقول للعامي ليس الخوض في الاختلافات من عشك فادرج فاياك أن تخوض فيه أو تصغي اليه فتهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف تكون من أهل العلم (١) ومن أهل الخوض فيه فإياك ثم إياك أن تهلك نفسك فكل كبيرة تجري على العامي أهون من أن يخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدري .

فان قال : لا بد من دين أعتقده واعمل به لا صل به الى المغفرة والناس مختلفون في الأديان فبأي دين تأمرني أن آخذ أو أعول عليه ؟ فأقول له للدين أصول وفروع والاختلاف انما يقع فيهما أما الأصول فليس عليك أن لا تعتقد فيها إلا ما في القرآن فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته وأسماءه فعليك أن تعتقد أن لا إله إلا الله وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثله شيء الى جميع ما ورد في القرآن واتفق عليه الأئمة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء فقل آمنا به كل من عند ربنا واعتقد كل ما ورد في اثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفي المماثلة واعتقاد انه ليس كمثله شيء وبعد هذا لا تلتفت الى القيل والقال فانك غير مأمور به ولا هو على حد طاقتك . فان أخذ يتحذلق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكني لا أعلم انه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الأشعرية والمعتزلة ، فقد خرج بهذا عن حد العوام إذ العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوماً الا يؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر واذا التحق بأهل الجدل فسأذكر علاجهم .

هذا ما أعظ به في الأصول وهو الحوالة على كتاب الله فان الله أنزل الكتاب والميزان والحديد وهؤلاء أهل الحوالة على الكتاب

وأما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف ما لم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتفقت الامة على ان زاد الآخرة هو التقوى والورع وان الكسب

(١) يريد العلم بأصول العقائد والاحكام ومذاهب الخلاف فيها

الحرام والمال الحرام والغيبة والنميمة والزنا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام والفرائض كلها واجبة فان فرغت من جميعها علمتك طريق الخلاص من الخلاف . فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جدلي وليس بعامي ومتى تفرغ العاميّ من هذا الى مواضع الخلاف ؟ أفرأيت رفقاءك قد فرغوا من جميع هذا ثم أخذ إشكال الخلاف بمخنقهم ؟ هيهات ما أشبه ضعف عقولهم في خلافهم إلا بعقل مريض به مرض أشرف على الموت وله علاج متفق عليه بين الأطباء وهو يقول قد اختلفت الاطباء في بعض الادوية انها حارة أو باردة وربما افتقرت اليه يوما فأنا لا أعالج نفسي حتى أجد من يعلمني رفع الخلاف فيه

نعم لو رأيتم صالحا قد فرغ من حدود التقوى كلها . وقال : ها أنا ذا تشكل عليَّ مسائل فاني لا أدري اتوضأ من اللمس والقيء والرعاف وانوي الصوم بالليل في رمضان أو بالنهار الى غير ذلك . فأقول له ان كنت تطلب الامان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف فان كل من لا يوجبه يستحبه وأنو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجبه يستحبه . فان قال هو ذا يثقل علي الاحتياط ويعرض لي مسائل تدور بين النفي والاثبات وقال لا أدرى أأقنت في الصبح ام لا وأجهر بالتسمية ام لا فاقول الآن اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه أغلب على قلبك كما لو كنت مريضا وفي البلد اطباء فانك تختار بعض الاطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد في أمر دينك فمن غلب على ظنك انه الأفضل فاتبعه (١) فمن أصاب فيما قال عند الله فله في ذلك اجران وان أخطأ فله عند الله في ذلك أجر واحد وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فاخطأ فله اجر واحد » ورد الله تعالى الأمر الى أهل الاجتهاد وقال تعالى « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لأهله اذ قال رسول الله صلى

(١) ليس هذا امرا بالتقليد الذي ابطله سابقا ولاحقا وانما هوامر بنوع من الاجتهاد لشخص لا يكاد يوجد على فرض وجوده فقد امره اولا ان يجتهد في نفسه ثم في الائمة الذين اشتبه في أي اقوالهم في تلك المسائل ارجح وان يأخذ بقول من رأى قوله اصوب ولا يكون ذلك الا بعد النظر في دليله . غاية الامر ان اجتهاده لا يكون مطلقا بل منتسبا الى من رجح دليله

ان يتعاندوا وان يتعصب بعضهم مع بعض لا سيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران في القبلة فاختلفا في الاجتهاد فحقهما ان يصلي كل واحد الى الجهة التي غلبت على ظنه وان يكف انكاره واعراضه واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف إلا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ في اليمن يجتهد لا على اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على انه ان اخطأ كان معذورا وهذا لان الامور الوضعية الشرعية التي يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشيء من نقيضه بعد كونه مظنونا في سر الاستبصار واما ما لا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن

وأما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فاني ادعوهم بالتلطف الى الحق واعني التلطف أن لا اتعصب عليهم ولا اعنفهم لكن ارفق واجادلهم بالتي هي أحسن وكذلك أمر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان آخذ الاصول التي يسلمها الجدلي واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي اوردته في كتاب الاقتصاد والى ذلك الحد فان لم يقنعه ذلك لتشوفه بفطنته الى مزيد كشف رقيته الى تعليم الموازين فان لم يقنعه لبلادته واصراره على تعصبه ولجاجه وعناده عالجته بالحديد فإن الله سبحانه جعل الحديد والميزان قريني الكتاب ليفهم منه ان جميع الخلائق لا يقومون بالقسط إلا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخواص والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شأنهم وانه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم دون اهل الجدل

واعني باهل الجدل طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات أكنّة على قلوبهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ولكن لم تهلكهم إلا كياستهم الناقصة فان الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفي الخبر « إن أكثر اهل الجنة البله وان عليين لذوي الالباب » (١) ويخرج من جملة

---

(١) المنار : رواه البيهقي في الشعب والبزار في مسنده هكذا « أكثر أهل الجنة البله » وهو ضعيف

الفريقين الذين يجادلون في آيات الله وأولئك أصحاب النار ويزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن وهؤلاء ينبغي ان يمنعوا من الجدال بالسيف والسنان كما فعل عمر رضي الله عنه برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين في كتاب الله تعالى فعلاه بالدرة وكما قال مالك رضي الله عنه لماسئل عن الاستواء على العرش فقال : الاستواء حق والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة. وحسم بذلك باب الجدال وكذلك فعل السلف كلهم . وفي فتح باب الجدال ضرر عظيم على عباد الله تعالى

فهذا مذهبي في دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بأن دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه يعرف به مقادير أعيان لا نهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقيم فمعه الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيراً لا نهاية له ولولا اشتمال القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نورا لان النور ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره وهو صفة الميزان ولما صدق قوله «ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » فان جميع العلوم غير موجودة في القرآن بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لا نهاية لها فبهذا ادعو الخواص . ودعوت العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة على الكتاب والاقتصار على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى . ودعوت أهل الجدال بالمجادلة التي هي أحسن فمن أبى أعرضت عن مخاطبته وكففت شره بيأس السلطان والحديد المنزل مع الميزان

فليت شعري الآن يا رفيقي بمَ يعالج أمامك هؤلاء الاصناف الثلاثة ؟ أيعلم العوام فيكلفهم مالا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرج الجدال من أدمغة المجادلين بالمحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى في القرآن مع الكفار ؟ فما أعظم قدرة امامك إذ صار أقدر من الله تعالى ومن رسوله !! أو يدعو أهل البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثعبانا بل يقولون هو فعل غريب ولكن من أين يلزم منه صدق فاعله وفي العالم من غرائب السحر

والطلسمات ماتتحير فيه العقول ولايقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها وجملة أنواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون معجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من أئمة السحرة ومن الذي يقوي على ذلك ؟ بل أهل البصيرة يريدون مع المعجزة ان يعلموا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق أستاذه في قوله اني حاسب فهذه هي المعرفة اليقينية التي بها يقنع أولو الالباب وأهل البصائر ولا يقنعون بغيرها البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فمن أين يحتاجون الى امامك المعصوم؟ وما الذي حل من اشكالات الدين؟ وماذا كشف عن غوامضه ؛ قال الله تعالى «هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه »، وقد سمعت الآن منهاجي في موازين العلوم فأرني ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الآن وماذا الذي يتعلمون منه ؟ وليت شعري ما الذي تعلمت من امامك المعصوم أرني ما رأيتها :

مايسدي بي رتسدي أوف   خر ابن وقلب يارفوت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها واني اراكم تدعون الناس الى الامام ثم ارى المستجيب لإمامك بعد الاستجابة على جهله الذي كان قبله لم يحل له الامام عقدا بل ربما عقد له حلا ولم تفده استجابته [illegible] بل ربما زاد به طغيانا وجهلا

قال : قدطالت صحبتي مع رفقائي ولكن ما تعلمت منهم شيئا الا انهم يقولون عليك بمذهب التعليم واياك والرأي والقياس فانه متعارض مختلف. قلت: فمن الغرائب ان يدعوا الى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتموني الى التعليم فاستجيب فعلموني ماعندكم فقال: ما أراهم يزيدونني على هذا شيئا . قلت: فاني قائل أيضا بالتعليم و بالامام و ببطلان الرأي والقياس وأنا أزيدك على هذا لو أطقت ترك التقليد تعليم غرائب العلوم وأسرار القرآن فأستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما أشرت الى كيفية انشعاب العلوم كلها منه في كتاب

جواهر القرآن لكني لست أدعو الى امام سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولا الى كتاب سوى القرآن فمنه أستخرج جميع أسرار العلوم و برهاني على ذلك لساني و بياني، وعليك إن شككت تجربتي وامتحاني، أفقراني أولى بأن يتعلم مني من رفقائك أم لا؟ اه المراد منه

باب المناظرة والمراسلة

﴿ النسخ وأخبار الآحاد ﴾

وعدنا في الجزء السابع بأن نبين رأينا في المناظرة التي دارت في المنار بين الدكتور محمد توفيق افندي صدقي والشيخ صالح اليافعي ورجونا أن يكون ذلك في الجزء التاسع (وكتب « السابع » غلطا وصححناه في الجزء الثامن على انه غلط بديهي إذ هو في الجزء السابع) . وقدعرض لنا من كثرة المواد ومن الشواغل ما حال دون تحقق الرجاء بالتفصيل الذي كنا نريده فرأينا ان نقول الآن كلمة مجملة ونرجئ التفصيل المراد الى جزء آخر فتكون كلمتنا هذه كحكم المحكمة بدون ذكر الأسباب التي يسمونها الحيثيات وكلمتنا الموعود بها كبيان حيثيات الحكم فنقول :

النسخ

قد سبق لنا القول بأن النسخ المصطلح عليه الذي هو محل النزاع لم يرد به نص في القرآن ولا في الحديث المرفوع يعلم منه ان آية كذا أو حديث كذا قد نسخ و بطل معناه أو ترك لفظه أو اللفظ والمعنى جميعا وما اورده اليافعي في تفسير « ما ننسخ من آية » ليس نصا ولا ظاهرا فيها بل الظاهر ما قاله الاستاذ الامام وجرى عليه الدكتور صدقي ولكن الاستاذ كان يرى ان الظاهر في قوله تعالى (١٦ : ١٠٠ وإذا بدلنا آية مكان آية) في آيات القرآن خلافا لما قاله الدكتور فيها وهي ليست نصا قاطعا في هذا ولاذاك وقد ورد في كلام الصحابة والتابعين وأئمة الفقه ما يدل على ان للنسخ الاصطلاحي أصلا ولكنه كما قال اليافعي في بعض المواضع انه أعم من النسخ الذي عليه الأصوليون

وان نسخ حكم في الشريعة بحكم آخر هو كنسخ شريعة بشريعة أخرى معقول المعنى موافق لحكمة التشريع في انطباقها على مصالح الناس التي تختلف

باختلاف الزمان والاحوال لا شبهة فيه على أصل الدين . وان أكثر ما قاله العلماء في نسخ احكام القرآن بديهي البطلان وما هو محل نظر منهـا قد جعله السيوطي عشرين وغيره سبعا والصواب انه لا يوجد في القرآن آيتان لا يتفق معنى إحداهما مع معنى الاخرى بحيث يقطع بالتعارض الذي لا يمكن التفصي منه الا بحمل إحداهما على النسخ المعروف عنـد الاصوليين . أما النسخ بالمعنى الذي يعم التخصيص والتقييد و بيان المجمل فهو واقع في القرآن ونقول به

واما نسخ التلاوة فلم تظهر لنا حكمته ولم يأت اليافعي ولا من قبله من العلماء الذين اطلعنا على أقوالهم بحكمة مقنعة لمن كان مستقلا في فهمه غـير مقلد فيه لا سيما نسخ اللفظ مع بقاء حكمه

وأما الدليل على وقوع ذلك فهو بعض الروايات عن الصحابة وهي وان صحح مثل البخاري أسانيدها محل إشكال في متنها كأحاديث أخرى في الصحيحين وغيرها منها نص علماء هذا الشان على عدها مشكلات وعدم الاهتداء الى حل معقول لها إلا الجزم بغلط الرواة فيها كحديث شريك في المعراج عنـد البخاري وحديث « خلق الله التربة يوم السبت » الذي رفعه مسلم وغيرها . وسنشير الى غـير هذين الحديثين مما هو مشكل في الصحيحين قريبا

أحاديث الآحاد والدين

ان كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قول أو فعل أو تقرير يتعلق بأمر الدين على انه منه فهو حجة على من ثبت عنده يجب عليه الاذعان لما يدل عليه ، ولا يقال ان شيئا منه خاص بوقت دون وقت أو قوم دون قوم أو شخص دون شخص من المكلفين إلا بدليـل يثبت ذلك . فان عارض هـذا الحديث بعد ثبوته آية من القرآن أوحديث آخر أو دليل حسي أو عقلي كان الحكم في ذلك لما تقتضيه قواعد التعادل والترجيح والجمع والتأويل وهي معروفة في مواضعها . وقد قال المحدثون إن من علامة كون الحديث موضوعا مخالفته لنص القرآن والمسائل القطعية في الدين واليقينيات الحسية والعقلية ، هذا إذا كان الجمع بينه و بين القطعي أو التأويل متعذرا

ولم يقل احد من سلف الامة وائمة الفقه ان معرفة الدين تتوقف على الاحاطة بجميع ما رواه المحدثون من الاحاديث ولا بأ كثرها ولم يكن الائمة الاربعة الذين يتبعهم اكثر المسلمين في الاحكام العملية مطلعين على ذلك كله لا سيما الامام ابو حنيفة الذي لم يرحل في طلب الحديث للقاء الرواة المنتشرين في بلاد الاسلام ولم يكن الحديث مدونا في الاسفار فيأخذه منها. وهو مع ذلك معترف بامامته واجتهاده عند اتباعه وغيرهم من أهل السنة . فما جرى عليه سلف الأمة وخلفها هو أن من بلغه حديث وثبت عنده وجب عليه العمل به ومن خالف بعض الاحاديث لعدم ثبوتها عنده او لعدم العلم بها فهو معذور فالعمدة في الدين كتاب الله تعالى في المرتبة الأولى والسنن العملية المتفق عليها في المرتبة الثانية ، وما ثبت من السنن وأحاديث الآحاد المختلف فيها رواية أو دلالة في الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجيا في الآخرة مقربا عند الله تعالى كما نرى بيان ذلك في ترجمة الامام الغزالي من هذا الجزء

احاديث الآحاد تفيد اليقين أم الظن

ذكرت هذه المسألة كثيرمن مرة في المنار وقد حققنا في تفسير قوله تعالى «٣: ١٧٣ فزادهم ايمانا » ان للظن اطلاقين أحدهما اعتقاد ان هذا الشيء ثابت وانه يحتمل احتمالا ضعيفا ان لا يكون ثابتا وهذا هو الظن الذي جاء في القرآن انه « لا يغني من الحق شيئا» . ثانيهما اعتقاد ان هذا الشيء ثابت مع عدم ملاحظة الطرف المخالف ولكن من غير برهان على منع الطرف المخالف وهذا قد يسمى في اللغة والشرع يقينا وعلما ولكنه لا يسمى يقينا عند علماء المنطق والكلام والفلسفة لأنهم يطلقون اليقين على مرتبة اعلا من هذه المرتبة في العلم وهي ثبوت الشيء بالبرهان وثبوت امتناع مقابله. وراجع التفصيل في التفسير (ص ٨٩٨ م ١١)

فيعلم مما حققناه ان بعض أخبار الآحاد يفيد العلم واليقين لغة وشرعا وعادة وبعضها لا يفيد ذلك ولكن لا يفيد شيء منها العلم البرهاني واليقين المنطقي. والدكتور توفيق صدقي لا ينكر ان له من الاصحاب من لو أخبره بشيء

يصدقه ويطمئن قلبه لخبره فلا يشك ولا يتردد فيه كما انه يصدق المؤذن في دخول وقت الصلاة والفطر في هذه الايام لا يشك فيه ولا يتريث في العمل به . فهل هو في هذا عامل بالظن الذي ذمه القرآن ؟ لالا. وقد صرح الاستاذ الامام في الدرس بأن الصحابة والتابعين كانوا موقنين بصدق الاحاديث التي عملوا بها عند ماسمعوها ممن رفعها الى النبي (ص) وانه لا يعقل ان يحدث مثل الصديق أحدا عن النبي (ص) ويتردد السامع في صدقه

ولا شك في ان كثيرا من الاحاديث المروية في دواوين المحدثين المشهورة تفيد هذا النوع من العلم واليقين ولا يعقل ان يكون كل ما رواه المسلمون عن النبي (ص) غير موثوق به بل لا يعقل ان تكون أكثر روايات التاريخ التي اتفق عليها المؤرخون كاذبة، فكيف يكون أكثر ما رواه المحدثون واتفقوا على تصحيحه كاذبا وهم أشد تحريا وضبطا من المؤرخين . واحتمال خطإ بعض الرواة العدول ووقوع ذلك من بعضهم لا يمنع الثقة بكل ما يروونه . كما ان مجرد تعديل المحدثين لهم لا يقتضي قبول كل ما رووه بغير بحث ولا تمحيص

فالجامعان الصحيحان للبخاري ومسلم هما أصح كتب الحديث متنا وسندا لشدة تحري الشيخين فيهما (رضي الله عنهما وجزاهما خيرا) ومع هذا لم يتلقهما المحدثون بالقبول تقليدا لهما وثقة مجردة بهما بل بحثوا ومحصوا وجرحوا بعض رواتهما وبينوا غلط بعض متونهما. كتغليط مسلم وغيره لرواية شريك عند البخاري في حديث المعراج، وتغليطهم لمسلم في حديث خلق الله التربة يوم السبت (وتقدم ذكرهما) وفي حديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وثلاث سجودات. وفي حديث طلب أبي سفيان بعد إسلامه أن يتزوج النبي (ص) أم حبيبة ويتخذ معاوية كاتبا.

ومن دقق النظر في تاريخ رجال الصحيحين ورواية الشيخين عن المجروحين منهم يرى أكثرها في المتابعات التي يراد بها التقوية دون الأصول التي هي العمدة في الاحتجاج . ثم اذا دقق النظر فيما أنكروه عليهما مما صححاه من الاحاديث يجد ان أقوالهما في الغالب أرجح من أقوال المنازعين لهما لا سيما البخاري فانه أدق المحدثين في التصحيح ولكنه ليس معصوما من الغلط والخطإ في الجرح والتعديل

وجملة القول في الصحيحين ان أكثر رواياتها متفق عليها عند علماء الحديث لا مجال للنزاع في متونها ولا في أسانيدها والقليل منها مختلف فيه وما من امام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها . فاذا جاز رد الرواية التي صح سندها في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل ، وجاز ردّ رواية خلق الله التربة يوم السبت الخ لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والأرض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك فأولى وأظهر أن يجوز ردّ الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه (كالروايات في نسخ التلاوة) لا سيما لمن لم يجد لها تخريجا يدفع الشبهة كالدكتور محمد توفيق صدقي وأمثاله كثيرون . ومثلها الرواية في سحر بعض اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ردها الاستاذ الامام ولم يعجبه شيء مما قالوه في تأويلها لأن نفس النبي (ص) أعلى وأقوى من ان يكون لمن دونه تأثير فيها، ولأنها مؤيدة لقول الكفار (٢٥ : ٨ وقال الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا) وهو ما كذبهم الله فيه بقوله بعده (٩ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) .

ومثل هذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بانها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ وقد سألنا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لاننا لم نجد جوابا مقنعا للمستقل في الفهم . فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الارض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علما قطعيا لا شبهة فيه . فاذا قلنا انها يصدق عليها مع ذلك انها ساجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشيئة الله تعالى ولان كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن — ان لم تكن التحتية فيه حسية لان الجهات أمور نسبية لاحقيقية فهي معنوية — إذا قلنا هذا أو انه تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها وهو أقرب فهل ينطبق على السؤال والجواب انطباقا ظاهرا لامراء فيه؟ اللهم لا . ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم والانبياء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم

يقل أئمة الدين انهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأبير النخل ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه

اما الاحاديث المخالفة للقرآن في خبره او معناه او اي نوع من انواع المخالفة الحقيقية فلا يمكن ان تكون صحيحة في الواقع وان وثق المحدثون رجال اسانيدها ولكن يجب التدقيق في ذلك قبل الحكم به فما رآه الدكتور محمد توفيق صدقي من أن تحريم الاكل والشرب في اواني النقدين مخالف لآية اباحة الزينة والطيبات هو في غير محله فان النبي (ص) استنبط ذلك من قوله تعالى في الآية التي قبل آية الزينة (٧: ٣١ كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) فالاكل والشرب في اواني النقدين إسراف عظيم لا سيما بالنسبة الى المسلمين في ذلك الزمان

وكذلك تحريم الجمع بين المرأة وعمتها او خالتها أخذه صلى الله عليه وسلم من تحريم الجمع بين الاختين لان العلة فيهما واحدة وكما ان تحريم الخمر التي كانت في زمن التنزيل يتضمن تحريم كل مسكر يستحدثه الناس الى يوم القيامة كذلك يتضمن تحريم الجمع بين الاختين تحريم ما في معناه كالجمع بين العمة وبنت أخيها فقوله تعالى (٤ : ٢٣ واحل لكم ما وراء ذلكم) لا يتناول الجمع بينهما على هذا فالحديث ليس مخالفا له . ولكن الجمهور يعدونه مخصصا للآية وتخصيص السنة للقرآن جائز وواقع فإن سماه بعضهم نسخا فلا نعارضه في التسمية ونحن موافقون له في المعنى

النبي صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بقوله وفعله ويدخل في البيان التفصيل والتخصيص والتقييد ولكن لا يدخل فيه ابطال حكم من احكامه او نقض خبر من اخباره ولذلك كان التحقيق ان السنة لا تنسخ القرآن . ثم انه (ص) شارع بإذن الله ولذلك قال عند ما سئل عن بعض المسائل « لو قلت نعم لوجبت » ومن ذلك انه حرم ما بين لابتي المدينة فجعلها كحرم مكة لا يحل صيدها ولا يقطع شجرها ولا يختلى خلاها والحديث في الصحيحين وغيرهما وليس ناقضا لشيء من القرآن ولا مخالفا له . ومما يدل على انه حرم المدينة من قبل نفسه أي بغير وحي خاص ان العباس قال له « إلا الإذخر » فقال « الا الإذخر » فاستثنى الاذخر من قوله لا يختلى خلاها وهو نبات عطر لحاجتهم الى قطعه بمجرد طلب العباس . ولكن هذا النوع من التشريع قليل جدا وهو

مختلف فيه قيل ان الله أعطاه ذلك وقيل لا وليس هذا القول المجمل مما يتسع لتحقيق ذلك

هذا وان للاسلام اصولا ومقاصد لا بد لكل مسلم منها كالتوحيد واركان الايمان وهي الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر وهي اعتقادات ؛ واركان الاسلام الخمسة ، وهي اعمال بدنية ، واركان الأدب التي تجمعها كلمة التقوى واجتناب الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وكل ذلك مبين في القرآن والسنة العملية . فهذا ما يجب على كل مسلم ان يعلمه ويعمل به

وأما الاحاديث التي لم يجر عليها عمل جماعة المسلمين والسواد الاعظم من أهل الصدر الأول ولا كتبها الراشدون ولا غيرهم من الصحابة ولا دعوا اليها وانما انفرد بها بعض الذين صرفوا همتهم إلى جمع الروايات وحفظ الاخبار والآثار ففيها تفصيل ملخصه أنه لا يجب على كل مكلف البحث عنها ولكن في معرفتها مزيد علم ومن عرف شيئا منها وصح عنده متنا وسندا بلا معارض أقوى منه وجب عليه ان يقبله ويهتدي به

نكتفي بهذه العجالة الآن بل هي قد جاءت أطول مما كنا نبغي ومتى سنحت الفرصة نعود الى بعض هذه المسائل بالبيان والتفصيل والى غيرها مما دار عليه كلام المتناظرين ما لم يدر عليه مما يتعلق بالمقام كـكراهة النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة السؤال لئلا تكثر التكاليف واستلزام ذلك لكراهة ان يعلم جميع الناس بما يجاب به بعض السائلين و يكلفوا العمل به كما كلف السائل ذلك لحاجته اليه ، أوعدم استلزامه . وما جرى عليه الصحابة في السكوت على ما يعلمون من ذلك حتى يسئلوا عنه وانفراد الكثيرين منهم بالحديث الواحد وقلة ما رواه الجم الغفير . ولا نضرب لذلك موعدا معينا لئلا نصد عن الوفاء به والله الموفق

الانقلاب العثماني الميمون

لاهور في ١٩ أغسطس سنة ١٩٠٩ م

حضرة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا أدام الله فضلكم ونفعنا بعلومكم آمين

أما بعد السلام والاحترام ، لا أستطيع ان أفي بحق شكركم على ما أبديتم

من اللطف في نشر مقالتي والرد عليها ردا مسهبا ، وسأنشر ترجمة ردكم هذا في جريدتي تماما ان شاء الله تعالى

ولا أكتب بعد ذلك في هذا الأمر شيئا بقصد استطلاع الآراء ، بل نترك للدهر يقضي كيف يشاء ، فانه خبير قاض ، ولكني أرى بنفسي ان الذين هم اليوم اعداء لعبد الحميد مثل شوكت باشا والغازي مختار باشا وغيرهم يحسون عاجلا بضرورة رجوعهم إلى عبد الحميد — ان لم تأخذهم الحمية حمية الجاهلية وسلكوا مسلك الانصاف والسداد -

وأما أمر التحاشي من نشر ردكم الأول فكنت على الصواب فيه لانه صدق ظني حين نشرته جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » ، فاستاء منه العالم الاسلامي الهندي أشد الاستياء حتى اضطر محرر هذه الجريدة لتقديم الاستقالة من خدمته في أواخر شهر يونيو الخالي — وساءت سمعة مجلة المنار أيضا — فرأيت ان أدافع عن المجلة ونشرت ردكم في جريدتي مع جوابي الذي أرسلته اليكم بعد التعريب كما نشرتموه في العدد السادس من مجلة المنار الاغر — ولقد أثر ذلك الامر تأثيرا حسنا في تسكين ثائرة نفوس المسلمين الهنديين واطفاء نائرة غيظهم على « المنار »

وليكن في علم حضرتكم ان الجرائد التي وافقت آراءكم من مائة جريدة إسلامية في الهند لا يربو عددها على اثنين فقط — إحداهما جريدة «علي كدة انستي تيوت غازت » والأخرى جريدة « وكيل » (أمرتسر) فما الذي جرى للاولى ؟ هو ان النواب وقار الملك ناظر الكلية الإسلامية في علي كده طلب من المحرر ان يصلح آراءه ويكتب ردا لأقوال مجلة المنار — ولكنه أبى الرد واستقال من وظيفته — ورد أقواله حضرة النواب المشار اليه في الاعداد التالية من الجريدة واضطر الى التسليم بان عبد الحميد هو « عبد الحميد الاعظم » لا محالة — وقد ندمت جريدة « وكيل » أيضا من سلوكها ذلك المسلك الصعب المخالف للرأي العام لمسلمي الهند واعتذرت عما فرط منها —

وظنكم أن آراء جريدة « وطن » موافقة لقرائها وهم عدد قليل في الملايين من مسلمي الهند فليس في محله لان شيوع هذه الجريدة في الاقطار الهندية

واشاعتها أكثر بكثير من جميع الجرائد الاسلامية الهندية ، فان جريدة علي كده جميع اشاعتها خمسمائة في الاسبوع ، وجريدة « وكيل » اشاعتها ألف وخمسمائة — و بقية الجرائد الاسلامية لا تزيد اشاعتها عن الالف البتة — ولكن جريدة «وطن» إشاعتها الآن خمسة آلاف وثلثمائة في كل أسبوع — ولا ريب في ان قراءه لا يكونون أقل من خمسين أو ستين ألف رجل من المسلمين — بل ربما يكونون مائة ألف أو يزيدون — ولا يخفى على حضرتكم ان جريدة « وطن » تجد مشتركين معاونين لها في كل مكان فيه عدد ولو قليل من المسلمين الذين يعلمون لسان « الاردو » مثل إفريقيا الجنوبية والمشرقية — وأمريكا الشمالية والجنوبية — وجزائر غرب الهند — والصين ، وأوستراليا ، وزنجبار ، وتونس ، وطرابلس الغرب ، ونانيجريا ، وملايا ، وسومترا ، وتركستان ، وعرب(؟) ، و بغداد ، وغيرها من البلاد النائية الاطراف من العالم الاسلامي فان جريدة « وطن » لتصل الى كل هذه البلاد دائما وانكم تعلمون ان وظيفة الجريدة ليست هي هداية قرائها الى جادة الصواب فقط بل انها يجب ان تكون مرآة ترى فيها آراء الامة والقراء جميعا وتكون مظهرة لميلانهم(؟) — واني أقول بكل الثقة ان آراء جريدة «وطن» في هذه المعاملة مطابقة لاراء قرائها وآراء الجمهور من المسلمين ولا عبرة للشواذ —

وأما قولكم بجهل مسلمي الهند بالحقائق في أول الأمر واقتناع منصفهم بعد ما ظهر لهم من الحق بواسطة نشر الحقائق في الجرائد التركية والعربية حتى تتعجبون من اصراري على ما كنت عليه فالمطلوب من حضرتكم إمعان النظر في مكالمة مراسل جريدة « باونير » الانكليزية (التي تصدر في بلدة إله آباد بالهند) مع محمود شوكت باشا وقد أدرجت هذه المقالة بعددها الصادر في ١٣ أغسطس سنة ١٩٠٩ فاعترف شوكت باشا بأنه ليس عنده الرجال الاكفاء ذوو سطوة واقتدار حتى يقدر على حفظ السلطنة من التورط في الهلاك والخراب ،

وانا مسلمي الهند مع وقوفنا على كون العهد الحميدي محفوفا بالاخطار ومملوءا من السيئات ، لا نلقي تبعة هذه المفاسد على عبد الحميد وحده كما تلقون حضرتكم بل

ننسبها الى جهل الملة وخمولها ونعلم ان عبد الحميد سعى جهد طاقته في تخفيف ذلك الجهل والخمول (!!!)

واني لا ادعي الاولية في كتابة ذم عبد الحميد وعما له على جميع جرائد العالم بل قصدي انه ان اول من كتب بهذه الصراحة في الجرائد الاسلامية الهندية لاغير وهذا صحيح لاريب فيه وقلتم ان الاختلاف في مشروع السكة الحجازية لم يكن من جهة السلطان السابق فاني لا اسلمه لان عندي كتبا خصوصية من اصدقائي في الاستانة وهم يكتبون ان الجرائد التركية حظرت عليهن الحكومة ذكر مشروع سكة بغداد والحجاز وسبب نشر آرائي في جريدة المعلومات العربية هو قلة انتشارها في المملكة العثمانية وان لم انس فاذكر ان الذي كتبوا منهم صديقكم وصديقي السيد عبد الحميد الزهراوي ايضا

والمؤرخون الذين يتحازون الى احد الطرفين لا يعد قولهم صحيحا بل العبرة بما قاله مؤرخة اولي الدراية في الازمنة التالية وكذلك الذين ليس لهم علاقه باحد من الفريقين المتخاصمين وانا كما تعلمون ليس لي واسطة بعبد الحميد ، ولا بتركيا الفتاة بل كل ما أقصده هو خير الدولة العلية وسلامتها حفظها الله ووقاها من جميع الآفات والمهلكات آمين

وعجبت من احتجاجكم باعتبر في ان الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد لخ » فاقول لكم بكل ادب ان فيلسوفا مثلكم لا يلزم ان يكون ناسيا الفرق بين الترقية و بين حفظ مركز السلطنة وسد الخلل ومقصودي هو أن عبد الحميد لا يجب ان نأخذه بجريرة اسلافه ونترك ما اصلحه هو ولا نشكره عليه فان العقل لا يسلم لاحد ان لايكون فيه حسنة غير السيئات ولذلك لا يخلو عبد الحميد ايضا من حسنات و يشهد على حسناته ما كتبته جرائد مصر العربية وجرائد اوربا في اكثر الاوقات في اعمدتهن من مدائحه واصلاحات عصره بالصراحة التامة والتاريخ يحفظ ذكرها

واما مدحت باشا فانه عزل من منصب الصدارة في سنه ١٨٢٢ ونفي ولكن القوم لم يكترثوا لحالته و بعد ذلك لما عين واليا على عدة ولايات فلم يكن سببه خوف

عبد الحميد منه أو من جماعته بل رأى ذلك السلطان المظم أن يستفيد من اهلية الرجل وكفاءته في اصلاح شؤون المملكة — وما كان سبب العزل والنفي لمدحت باشا الا قلة مواليه ومشاركيه في حب الدستور (!)

انكرتم علي قولي ان حكم النبي (ص) والصديق والفاروق (رض) وغيرهم من الخلفاء الراشدين كان مطلقا واوجبتم عليّ ان استغفر الله من هفوتي هذه فاعوذ بالله واستغفره من كل ذنب واتوب اليه وبعد ذلك اسألكم ان ضمير «هم» في قوله تعالى (وَشَاوِرْهُمْ في الأَمْر) هل مرجعه جميع افراد الملة الاسلامية او بعض سراتها وذوي الرأي منها؟ ان كان المقصود منه ذوي الرأي من سادات القوم ووجهائهم فلم تنسون مجلس شورى الدولة الذي كان موجودا في عهد عبد الحميد الى آخر ايامه واعضاؤه من اهل الخبرة والجاه والسياسة وسراة الامة؟؟ وان كان الضمير راجعا الى كل فرد من افراد الامة فمتى حصلت الاستشارة لجميعهم وكيف السبيل الى حصولها ايضا؟

هل كان صلح موقع الحديبية في زمن النبي (ص) وقتال أهل الردة والممتنعين من اداء الصدقات وتزحيف جيش أسامة (رض) وعدم مؤاخذة خالد بن الوليد (رض) من اعمال الصديق (رض) كل هذه الامور بمشورة القوم وغير مناقض لآراء الجمهور من الصحابة (رض)؟ ومتى اظهر المسلمون رضاهم من عزل خالد (رض) حينما عزله الفاروق (رض) لان الجمهور كانوا يحبونه ويفضلون ان يكون هو قائدا عليهم؟— وان كانت هذه الامور بالاستشارة فالمرجو من كرمكم ان افيدوني باعلامها واذكروا لي اسماء الصحابة الذين استشيروا في تلك الامور

وعلمت اطلاع عبد الحميد على النوايا السيئة للغازي مختار باشا اليه من نشر تقارير الجواسيس في جرائد الاستانة في هذه الايام . وظهر انه كان عالما بسوء نية الرجل وإنعامه عليه واكرامه كان بسبب لطفه الطبيعي وحسن سياسته في تأليف قلوب النافرين منه بواسطة المال والاكرام (!)

انكم تقولون إني عاشق لعبد الحميد . ولا اعرف الحقيقة التي عرفتها الارض والسماء من انه كان السفاك المبيح للدماء وقاتل الابرياء وغيره ، فقولكم هذا لا يعتد

به من غير بينة . وان الجرائد التركية مع كونهن تجاوزن حد الآداب في ذم عبد الحميد لم تستطعن ان تثبتن شيئا حقيقيا من التهم الموجهة اليه في أمر افساد الدستور وشركته في الحركة الارتجاعية يوم ١٣ ابريل الماضي . غير الظنون والشكوك فان العاقل لا يعبأ بها . ومن الذي لا يعلم ان جرائد اروبا لم تكن لتقصر في اذاعة سيئات عبد الحميد ومظالمه لو وجدن اليه سبيلا . والحمد لله خابت آمالهن من هذا القبيل ولم تستطع جريدة من جرائد أوربا ان تكتب كلمة واحدة تدل دلالة صريحة على شركة عبد الحميد في الحادثة الارتجاعية ولكنكم تضربون على هذه النغمة عبثا وتحاولون اقناعي بمثل هذه الخزعبلات (!)

ومعصيتي الكبيرة التي جنيتها في زعمكم هي قولي الحق في شأن مولانا السلطان محمد خان الخامس ادام الله ملكه وسلطنته « انه كآلة صماء في يد جماعة » ودعوتموني الى التوبة من هذه المعصية ولكن ما تقولون في اشاعات جمعية الاتحاد والترقي واقوال شوكت باشا نفسه بانه لم يترك حول جلالته احداً من انصار عهد القديم لا من رجال المعية ولا من الخدم والحشم حتى لم يتركوا حوله من خدامه القدماء احدا . وقد قاله شوكت باشا في مكالمته مع مراسل جريدة باونير المذكور سابقا في هذا المكتوب

وبالجملة فاني أتعجب من شدتكم في أمر عبد الحميد وسبّكم له مع كونكم من العلماء الاعلام وحكماء الاسلام . يغفر الله زلتكم هذه ويهديكم سبيل الرشاد لان السب والشتم ليس من شيم الكرام . والسلام

ولا ابغي نشر مكتوبي هذا في المجلة ولا اكلفكم الرد عليه بغير رضاكم لاني علمت من الردّين ما قد كفاني . واني عرضت عليكم بعض ما جال في خاطري عند قراءة ردكم . وخفت ان لو اكتب في جوابه شيئا فيطول الكلام لذلك اكتفيت ببعض الامور التي يجب اطلاع قرائكم عليه فان رأيتم من المناسب نشره نشرتموه والا فلا . فاطلب منكم العفو من تكليفكم مرتين كاتبه المخلص

محمد انشاء الله محرر ومدير جريدة « وطن »

بلدة لاهور (بنجاب — الهند)

﴿ جواب المنار ﴾

ان هذه الرسالة تشعر باخلاص صديقنا فيما كتبه أولا وآخرا في مسألة الانقلاب في الدولة لنشره بعض ردنا و وعده بنشر الباقي وهذا هوظننا فيه الذي بيناه في ردنا عليه من قبل خلافا للجرائد التركية والعربية التي جعلته من صنف (الارتجاعيين) الذين يتبعون الهوى في نصر عبد الحميد حبا في ماله ورتبه واوسمته . وقد اوسعته تلك الجرائد ذماوتو بيخا وتهكما وهي مخطئة في ذلك كما انه هو مخطئ في اجتهاده ، ولذلك لم ننوه بشيء مما كتبوا وان أثنت علينا الجرائد التركية فيه وارسل الينا بعضه من الاستانة معلما عليه بالحبر الازرق . ونقول لأولئك الكتاب ان صاحب جريدة الوطن ربما كان اشداخلاصا للدولة من اكثر الجرائد العثمانية التي تلعن اليوم الاستبداد وسلطانه ، وتطري الدستور واعوانه ، وسيرون ان شاء الله من محمد انشاء الله خير نصير للدولة الدستورية ، لا سيما بعد الاقتناع القريب بسوء عاقبة السياسة الحميدية ، ثم اننا نجيب مناظرنا عن شبهاته في هذه الرسالة بما يأتي بالاختصار :

(١) ان قراء الجرائد في الهند معذورون في إساءة الظن في المنار لما كتب ما يخالف آراءهم واهواءهم وجرائدهم التي استمدوا منها تلك الآراء والاهواء في السياسة الحميدية . وقد علمت ان اكثر المستائين يظنون اننا كنا نمدح عبد الحميد وسياسته في عهده فلما خلع انقلبنا عليه ذامين قادحين ، وظنهم هذا من الإثم ، والحكم علينا بغير علم ، ولذلك نظن ان قراء المنار لم يتهمونا بمثل ما اتهمنا به غيرهم لأنهم يعلمون اننا لم نكن نحسن الظن في السلطان عبد الحميد بعض الشيء ونلتمس له بعض العذر الا في السنة الأولى من سني المنار لأن استبداده لم يكن قد بلغ غايته ولقرب عهدنا يومئذ ببلادنا المحجوبة عنها الحقائق ، والمملوءة بالنفاق والمدح الكاذب ، وقد كان المنار بعد ذلك يتميز غيظا من سوء تلك الحال ، و يشكو منها بالاساليب المختلفة من الأقوال ، ومن أوضحها مقالة (حال المسلمين في العالمين ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين)وما يتبعها من المقالات التي نشرناها في المجلد التاسع ودعونا

فيها علماء الاسلام في مصر والهند وتونس الى مطالبة السلطان عبد الحميد بالعدل والإصلاح ، ولولا اننا أنشأنا جمعية سياسية سرية لمجاهدة استبداد عبد الحميد وجعلنا لها جريدة خاصة سميناها باسمها (الشورى العثمانية) وكنا نعزز الجريدة بمنشورات سرية يوزعها عمال مخصوصون في الاستانة والروملي والاناطول بنفقة من الجمعية لما رضينا بذلك التنديد الاجمالي في المنار . وقد نوهنا بذلك في فاتحة هذه السنة

ومن كان في شك من مجاهدتنا لعبد الحميد في عهد استبداده بأشد مما كتبناه في المنار بعد خلعه — وهو نفسه يعلم ذلك ولا يشك فيه — فليطلب منا بعض اعداد جريدة جمعيتنا ليعلم اننا لسنا كأصحاب تلك الجرائد العثمانية التي كانت تسبح اسم عبد الحميد بكرة وأصيلاً راضية أو كازهة ثم صارت تلعنه كذلك . ولو كان المنار كتلك الجرائد وصاحبه كأصحابها لما خربت الحكومة بيت أبيه ، ونكلت بأهله ومحبية ، ولولا انه مخلص في جهاده الاستبداد الحميدي لما احتمل ذلك العذاب ، والبلاء في الاموال والأنفس والأوقاف ، ورغب عن العطايا والرتب التي عرضت عليه ليكون من المادحين لعبد الحميد . واننا ننشر في هذا الجزء مانشرته الحكومة الحميدية في جريدة بيروت الرسمية من اتهامنا واتهام بعض اخوتنا وأصحابنا بالجناية والأمر بالقبض علينا احياء أو ميتين . ونرجو من صديقنا ان يترجه وينشره مع هذا الرد في جريدته ليقرأه من لا يعرف العربية من إخواننا مسلمي الهند

(٢) اننا نعجب لظن صديقنا المناظر لنا بعد ان بينا له الحقائق ان مثل مختار باشا وشوكت باشا سيظهر لهما على عداوتهما لعبد الحميد ضرورة الرجوع اليه ! ! يا لله العجب أيظن صاحبنا أنه أعلم بعبد الحميد منهما وممن على رأيهما من خيار رجال الدولة حتى يظهر لهم انهم هم المخطئون فيكون هو المصيب في غلوه في إطراء عبد الحميد ! ! أيسمح لي صديقي الفاضل ان أسمي هذا الظن غروراً مبينا مع احترامه وحفظ مقامه ! هل أعيد له القول البديهي انهم يعرفون جميع عجره وبجره الخفية والجلية وجميع أعماله السرية والجهرية وصديقنا لا يعرف منها الا بعض الظواهر التي برز أكثرها في غير صورته الحقيقية . وهل تكون حمية مختار باشا على عبد الحميد حمية جاهلية وهو أكبر قواد الدولة الذي بذل دمه مرات كثيرة في سبيلها ؟ وتكون حمية

صاحب جريدة الوطن هي الحمية الصادقة التي يثيرها الانصاف ؟ أي حظ لمختار باشا من عداوة عبد الحميد ؟ ان مرتبه الآن لا يبلغ عشر مرتبه من عبد الحميد وان ولده كان بمحاباة عبد الحميد فريقا من الدرجة الأولى وقد أنزل بعد الدستور الى رتبة أميرألاي ، ومختار باشا راض مسرور من خلع عبد الحميد ، أليس هذا برهانا قاطعا على إخلاصه ؟ فائتنا أيها الصديق ببرهان مثله يثبت انك أشد إخلاصا للدولة وأعلم بمصلحتها منه ؟ ؟ ما كان ينبغي لك ان تعيد مثل هذه الاقوال التي لا يكاد يعقل صدورها من عالم مخلص مثلك إلا بذلك التأويل الذي حملت عليه كلامك من قبل وهو كون اعتقادك حسن حال عبد الحميد صار وجدانا لا يقبل البحث كدين العجائز ، ومنك يرجى السماح والعفو

(٣) اذا كان قولك ذاك عجبا فاعجب منه استدلالك على كونك مصيبا في اصرارك على رأيك في عبد الحميد وحكومة الدستور بقول شوكت باشا انه ليس عنده من الرجال الاكفاء من يكفي لحفظ السلطنة ! ان هذا اكبر حجة لناعليك واظهر مبطل لقولك ان عبد الحميد كان يسعى جهد طاقته في تخفيف الجهل والخمول السائدين في السلطنة . لو كان حقا ما تقول لكانت مدة سلطنته كافية لتعميم التربية الملية والتعليم النافع وتخريج رجال لا عداد لهم يصلحون للنهوض بجميع أعباء السلطنة . فان ثلث قرن كاف لتربية ثلاث طبقات أو أجيال من الامة . ولكن عبد الحميد كان والله مفسدا في المملكة عدوا للعلم والتربية نصيرا للجهل والضلالة . وان من البراهين القاطعة على افساده وتخريبه للدولة وإتيانه إياها من قواعدها وآساسها ما قامت به الحكومة الدستورية من تصفية الرتب العسكرية فقد تبين به صدق ما كنا نعلمه بالاجمال ونقوله بالاختصار من ترقية عبد الحميد للضباط والقواد بمحض ارادته محاباة لهم لئلا يسخطوا على هدمه لسائر قواعد السلطنة . فالعسكرية التي احدثت الانقلاب وبيدها زمام الأمر هي التي اختارت إنزال الجم الغفير من قوادها وأمرائها وضباطها عن مراتبهم غيرة على الدولة ومنعا لهذا الخلل الذي يقضي على الدولة اذا هي وقعت في حرب مع دولة قوية منظمة . لقد خلع عبد الحميد والدولة عاجزة عن محاربة البلغار التي هي قطعة منها ولكن حكومة الدستور أمكنها ان تتلافى الامر بسرعة حتى

استعدت للطوارئ في اقل من سنة وان كان الاصلاح التام لما افسده عبد الحميد لا يتم الا بسنين ، وناهيك باصلاح الاسطول وتعزيزه وقد ظهر للوجود بعد خفائه

يا سبحان الله ! البلاد بلادنا والمكاتب والمدارس مدارسنا ومكاتبنا بنيت بأموالنا وهي تحت مواقع ابصارنا والمعلمون والمتعلمون فيها اخوتنا وأولادنا ، ونحن الذين نقول ان عبد الحميد ابطل كثيرا منها وجعل بعضها تحت مراقبة الجواسيس ومنع منها باشاراتهم بعض العلوم و بعض الكتب ثم بعض الآلات والمواد التي يتمرن فيها التلاميذ على الاعمال في العلوم الطبيعية ، كما منع اكثر الكتب النافعة في الدين والأدب والتاريخ والتربية وغير ذلك واحرقت حكومته ألوفا كثيرة من هذه الكتب وحملت الناس بضغطها وظلمها على احراق أكثر مما احرقت هي . و بعد هذا كله يقول صاحب جريدة الوطن ان السلطان عبد الحميد كان باذلا جهده في ازالة الجهل واصلاح حال الأمة بالعلم ! . ثم هو يعترف معنا بعد ذلك بأن الامة العثمانية ليس فيها (بعد هذا الجهد في تعليمها بزعمه) أناس قادرون على القيام باعباء الحكومة ! ! كيف يفهم هذا وبم يفسر ؟ ؟ ؟

يعترف صاحب « وطن » بأنه هو وقومه واقفون على ما كان في العهد الحميدي من السيئات ولكنهم لا يلقون عليه التبعة وحده مثلا كما يدعي بل يقولون إن سببها جهل الامة نعم ان جهل الأمة هو الذي مكن مخالبه من مقاتلها ولذلك كان يكره ان تتعلم وينكل بكل من ينبه افكارها والا فليدلونا على ذنب المنار حتى لقي واهله ما لقوا منه ؟ اما عماله واعوانه على الافساد فانهم كانوا على شاكلته

ومن يربط الكلب العقور ببابه فكل بلاء الناس من رابط الكلب

ولماذا لا تحرق الكتب الآن ولا يحذف بعض المسائل من نسخها الطابعون كما حذفوا طائفة من كتاب المواقف الذي طبع في عهده بالاستانة ومن كتاب شرح المسايرة في العقائد الذي طبع في مصر فجعات بعض نسخه كاملة صحيحة وهي ما يباع بمصر وسائر بلاد الدنيا ماعدا البلاد العثمانية وأما بقية النسخ التي ترسل إلى الاستانة وغيرها من الولايات العثمانية فقد حذف منها بعض المباحث لئلا يجعل وقودا للنار

(٤) تنازل صديقنا من دعوى ترقية عبد الحميد للسلطنة أو اجتهاده في ترقيتها

في بعض كلامه (وان تناقض مع بعضه الآخر) وجعل حسنته العليا حفظ مركز السلطنة وسد الخلل ونقول ان هذه الدعوى ممنوعة أيضا فان سد الخلل إنما يكون قبل كل شيء باصلاح المالية فالدولة التي ليس عندها مال لا تقدر ان تدفع خطرا داخليا ولا خارجيا وهو قد دمر مالية الدولة تدميرا كما هو بديهي لا يقبل المراء . ثم ان الركن الآخر لحفظ المركز هو العسكرية وقد قلنا آنفا انه اشتغل في آخر عهده بإفسادها وإن تصفية الرتب العسكرية أقوى برهان على ذلك . نعم ان كل ما كان يعمله عبد الحميد في المشكلات الخارجية هو الحيلة والمواربة والتسويف والترضية للدول بعد ذلك والغرض من هذا كله تأخير سقوط الدولة الى ما بعد موته ليبقى طول حياته متمتعا بنعيمها وان كان أكثره وهميا مشوبا بالمنغصات التي لا قبل له بدفعها لأن وسواسه هي مثارها ومهدها . ولو طال العهد على تلك السياسة الخرقاء التي لم ينل منها بعض ما يريد الا باختلاف الدول وتنازعها لخربت المملكة فقد تداخلت أوربا في ولايات مقدونية وكان ذلك مقدمة لسلخها من الدولة ولولا الدستور الذي أراحنا من سياسته لذهبت تلك الولايات وما ثبتت الاستانة بعدها إلا قليلا . واما مدح الجرائد له فكان بعضه بالثمن وبعضه بسوء الفهم وبعضه بالاكراه

(٥) قال انه لم يثبت ان عبد الحميد هو مدبر الفتنة الأخيرة التي خلع بها ، ومع هذا نصفه بسفك الدماء ، ونقول ان هذا وصف قديم له معروف عند الافرنج الذين يسمونه السلطان الأحمر ، وان الحكومة الدستورية قررت عدم محاكمته ولذلك لم تظهر كل ما ظهر لها من دسائسه في الفتنة وغيرها

(٦) سمى صديقي ماعبت به عبد الحميد في سياسته وإدارته ، وما كتبته من وجه العبرة بخلعه ، سبا وشتما وقال انه ما كان يليق ذلك بمثلي . وهي غفلة من الصديق ، سببها الغلو في حب عبد الحميد ، فان السب عبارة عن ألفاظ بذيئة توجه الى شخص لأجل تحقيره وإهانته فقط . وما ذكرناه في عبد الحميد لم يكن كذلك وانما كان بيانا لحقيقة رجل آذى دولة عظيمة وأمة كبيرة وتنبيها لوجه العبرة في سقوطه فهو من قبيل ما في الكتاب والسنة من ذم فرعون وملائه والعبرة بهلاكهم ، ومن قبيل جرح المحدثين لرواة الحديث، ومن قبيل ما أذن الله به من قول السوء لمن ظلم

بيان ظلم ظالمه وسوء عمله، وعبد الحميد لم يكن ظالما لي ولا لأهلي فقط بل كان ظالما لنا ولجميع الأمة ماعدا اعوانه على الظلم منها . هذا ما أقوله فيما يتعلق بعبدالحميدوأثبت له حسنة السكة الحجازية وحسنة عدم التعصب لجنسه وكراهته ان يقال ترك وعرب، واما المسائل العامة التي أنكرهاعليناصديقنا أوسأل عنها فهذا جوابها بالاجمال الذي يسعه المقام نذكره تابعا بالعدد لما قبله

(٧) من البديهي ان الذين تجب استشارتهم في الامور العامة هم اهل الرأي والمكانة في الامة العارفون بمصالحهاوالمحترم رأيهم عندجمهورها المعبرعنهم في القرآن باولي الامر لاجميع افرادالامة . ولم يكن مجلس شورى الدولةموءديافي عهد عبد الحميد لوظيفة المشاورة الشرعية ولا أعضاؤه من أهل المكانة في الامة ولا من المعروفين عندها وانما يعرفهم من كان بينه و بينهم صلة جوار أو نسب أو عمل . ذلك مجلس قديم العهد في الدولة وقد أفسده عبد الحميد كما أفسد غيره حتى جعله مستودعا لمن يسترضيهم ممن يخشى اشتغالهم بالسياسة وكان أكثرهم لا عمل لهم ولم يكونوا مرجعا له في الامور العامة ولا مستشارين على ان يكون رأيهم معمولا به قطعا بل كان المجلس ولا يزال ثلاث دوائر احداها الملكية والثانية للتنظيمات والثالثة للمحاكمات يحاكم فيها كبار الموظفين وكانت الاشارة من اقل رجال المابين او جواسيسه تكفي لإدانة البريء والحكم عليه باشد العقوبة وعفو السلطان فوق حكم هؤلاء كما انه فوق جميع المحاكم الشرعية والنظامية أهذه هي الشورى المطلوبة في القرآن التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل برأي رجالها وان خالف رأيه كافعل في غزوة أحداتي أنزل عليه فيها (وشاورهم في الامر) ؟ ؟ ياسبحان الله ألهذا الحد وصلتم في الانتصار لعبد الحميد ؟

(٨) ذكر صديقنا عدة شبه على قولنا ان حكومة الاسلام حكومة شورى مقيدة، لا استبداد مطلقة ، وان الخلفاء الراشدين ، لم يكونوا في احكامهم مستبدين ، ونجيب عنها واحدة بعد أخرى :

﴿ الشبهة الاولى ﴾ ان صلح الحديبية لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم برأي الصحابة بل كانوا له كارهين في أول الامر وانما قبلوه تدينا لا اقتناعا بفائدته كاهو معروف في السير مع انه وقع بعد غزوة أحدالتي أمر فيها بالاستشارة . والجواب عنه من وجهين

(الوجه الأول) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل بعض الاعمال بأمر من الله تعالى فلا يستشير فيها أحداً إذ لا مجال لرأي أحد مع أمر الله تعالى ويجب ان يكون صلح الحديبية من هذا القبيل والا لزم مخالفة النبي (ص) لأمر الله تعالى إياه بمشاورتهم وذلك غير جائز ، وقد يدل على ذلك قوله تعالى في الرد على كراهة الصحابة لذلك الصلح « فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريباً » وتسمية ذلك فتحا مبينا في أول السورة أيضا ، ولم يعاتبه تعالى عليه كما عاتبه على أخذ الفداء من الاسرى ببدر

(الوجه الثاني) قيل ان المشاورة لم تكن واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم وان أمره الله بها للندب فهو يفعله إذا لم يرغيره أرجح منه . ولا أراك تطيب نفسك للقول بأنه (ص) يخالف الأمر الإلهي وان كان للندب كما تطيب نفسك للقول بأنه فعله بوحي إلهي كما تدل عليه سورة الفتح

﴿ الشبهة الثانية ﴾ بعض اعمال الصديق كقتاله لأهل الردة ومانعي الزكاة ، وانفاذه لجيش أسامة ، وعدم مؤاخذة خالد بن الوليد على قتل مالك بن نويرة والتسري بزوجه . وانا نجيب عنها كلها جوابا عاما ثم نجيب عن كل منها بالتفصيل

اما الاول فهو ان الحكومة المطلقة هي ما كان الامر فيها للحاكم العام في التشريع والتنفيذ والحكومة المقيدة هي ما كان الحاكم العام فيها مقيدا بشريعة ليس هو الواضع لها إما منزلة وإما موضوعة برأي الأمة ، وإما بعض احكامها منزل و بعضه موكول الى استنباط أولي الأمر من الامة يضعونه بالمشاورة بينهم — كالشريعة الاسلامية — والتنفيذ في هذه الحكومة لا يحتاج فيه الى الاستشارة متى كان الحكم معروفا عند الحاكم . وكذلك كانت حكومة الراشدين : كانوا اذا وجدوا الحكم في كتاب الله حكموا به او في السنة كذلك فان لم يجدوا جمعوا أهل الرأي من الصحابة واستشاروهم كما روينا ذلك بالاسانيد المتصلة واوردنا بعض ذلك في المنار من قبل

وعلى هذا تجري الحكومات الدستورية الآن في اوربا وغيرها : يحكم الحاكم بالقانون فلا يراجع مجلس النواب في كل قضية وإنما يرجعون اليه في المشكلات وما كان غير منصوص في القانون . وقد كان الحكم الشرعي في المسائل المذكورة معروفا

عند ابي بكر فجاز له ان ينفذها من غير استشارة بل وجب عليه ذلك في اعتقاده

واما التفصيل فقد تأول في قتال مانعي الزكاة حديث « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » فانه جعل من حقها ان مانعي الزكاة الهادمين لركن من اركان الاسلام يقاتلون عليه حتى يذعنوا له . وان الفقهاء صرحوا بأن الذين يمنعون شيئاً من شعائر الاسلام ولو مسنونا كالاذان يقاتلون عليه . فهو قد تصدى لقتال مانعي الزكاة عملا بحكم مقرر عنده بالنص ولما راجعه عمر في ذلك وذكر الحديث قال له « ألم يقل الا بحقها ؟ فالزكاة من حقها » الخ ما قال وهو مشهور فاقتنع عمر بقوله . وهذه المراجعة تدل على انهم كانوا يعارضون الامام اذا تصدى لشيء لم يظهر لهم دليله الشرعي فيه او ظهر لهم مخالفته فيه للنص الشرعي

والناس يغلطون في هذا المقام فيخلطون بين محاربة المرتدين وهو بنو حنيفة اتباع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة و بين مانعي الزكاة وهم غيرهم فمحاربة بني حنيفة كانت باتفاق الصحابة لم يعرض لأحد فيها إشكال ومحاربة مانعي الزكاة عرض فيها الاشكال لعمر فاقنعه ابو بكر

الحديث الذي دار الكلام عليه بين الشيخين مروي في الصحيحين وقد اخرجاه بزيادة هي نص في فهم ابي بكر الذي رجع إليه عمر اذ قال « فوالله ما هو الا ان رأيت الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعلمت انه الحق » وهذه الزيادة هي « ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » فالحاصل ان أبا بكر عمل بما علم من حديث الرسول في المسألة وذلك مما لا يحتاج فيه الى الاستشارة وقد اقره الصحابة كلهم على ذلك بعد مراجعة عمر واقتناعه

وإما إنفاذ أبي بكر لجيش اسامة فهو ايضا تنفيذ لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشار عليه بعض الصحابة أن يرد الجيش فلم يفعل وقال « لا أحل راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم » فاحتج بأنه منفذ لأمر الرسول (ص) وكانت المصلحة فيما فعل . ومما يدل على انه لم يكن يرى ان له الحق في رد الجيش طلبه من أسامة ان يأذن لعمر في البقاء في المدينه لينتفع المسلمون برأيه ولم يمسك عمر عنده بما له من السلطة العامة لأن سلطته في الامور المنصوصة لا تعدو تنفيذ النص الا ان يظهر له

في اتباع النص ما ينافي المصلحة العامة لامور عرضت تقتضي ذلك فحينئذ يستشير اولي الامر في العمل بما فيه المصلحة كما فعل عمر في الطلاق الثلاث باللفظ الواحد اذ كان على عهد النبي (ص) وابي بكر (رض) يعد طلقة واحدة . فرأى عمر بعدمضي زمن من خلافته اكثار الناس من هذا الطلاق المخالف للسنة ومقصد الشريعة فاستشار الصحابة في انفاذه عليهم عسى ان يتركوه وأنفذه برضاهم والحديث في الصحيح وتقدم الكلام عليه في التفسير وغير التفسير

وأما عدم مؤاخذة ابي بكر لخالد بن الوليد اي مقاصته على قتل مالك بن نويرة فهي لا تدل على ان حكومته كانت مطلقة استبدادية اذ ليس في الشريعة نص يوجب القصاص في مثل تلك الحادثة وهي القتل بالتأول في الحرب بل فيها ما يقتضي عدم القصاص فان خالداً نفسه قتل طائفة من بني جذيمة متأولا فغضب النبي (ص) حتى قال «اللهم إني ابرأ اليك مما صنع خالد» كما في الحديث الصحيح ولكنه لم يقتله ولم يوجب عليه دية . وكذلك قتل اسامة رجلا قال لا إله إلا الله فأنكر النبي (ص) عليه ذلك وقال «يا اسامة أقتلته بعد ما قال لا إله الا الله ؟» قالها ثلاث مرات كما في الصحيحين ولم يقتله به ولا اوجب عليه قودا ولا دية لانه متأول . وما روي من ان عمر اشار عليه بقتله غاية ما يفيده كما قال ابن تيمية ان المسألة اجتهادية اختلف فيها اجتهاد الشيخين ولم يأت عمر بدليل يوجب على ابي بكر الرجوع الى رأيه . والظاهر ان عدم الدية والقود خاص بما يكون من مثل هذا في ايام الحرب واما من قتل معصوما في أيام السلم متأولا فتأوله قد ينافي التعمد الذي يقتل به ولكنه لايمنع ايجاب الدية ولا التعزير بحبس او غيره . وللمؤرخي الشيعة وغيرهم اقوال غير صحيحة في مسألة قتل خالد لمالك ومنها تسريه بزوجه من غير اعتداد ولا استبراء وليس لهم في ذلك رواية يحتج بمثلها شرعاً على ان فقهاء الامة مختلفون في اعتداد مثلها وليس هذا المقام مما يتسع للخوض في ذلك

﴿ الشبهة الثالثة ﴾ عزل الفاروق لخالد من قيادة الجيش في الشام . ونقول إن ذلك حقه وقد بلغه من الاخبار ما أراه ان المصلحة في ذلك، وهذا ما يفعله كل رئيس للعساكر

اوللادارة في الحكومات الدستورية ولايتبعون في اختيار القواد هوى الجند ورضاه قط بل كثيرا ماتقضي السياسة بابعاد القائد عن الجند الذي يعشقه ويفتتن به لئلا تحدثه نفسه بالخروج به على الحكومة وتأسيس دولة جديدة . ويروى ما يدل على ان هذا هو السبب في عزل عمر له وهوانه لما سأله خالد عن ذلك قال خفت أن يعبدك أهل الشام . الم يكن السبب في سفك نابليون لدماء الملايين من البشر هو افتتان جنوده به حتى انهم عصوا حكومتهم عند ما أمرتهم بمحاربته بعد رجوعه من جزيرة « ألبا » وكانوا عازمين على ذلك فلما اقبل عليهم بوجهه ودعاهم الى قتله خروا امامه خاضعين وله متبعين ؟ ؟

(٩) ومن المسائل العامة التي غلط فيها صديقنا صاحب « وطن » ما ذكره في المؤرخين الذين يعتد بأقوالهم والذين لا يعتد بأقوالهم وتطبيقه ذلك على أقوالنا وأقواله في الانقلاب العثماني. والصواب ان المؤرخ الصادق العدل يعتد بروايته عما رآه واختبره بنفسه ، وأما مايرويه عن غيره فالعبرة فيه بصحة السند ومتى كان الراوي عدلا قبل قوله ولو فيما يؤيد رأيه ومذهبه كما قبل المحدثون من أهل السنة رواية العدول من المعتزلة والخوارج والشيعة . ثم انه ليس ههنا فريقان مختصمان تتعصب نحن لاحدهما على الآخر وانما يظهر التعصب من صديقنا لأنه يفضل الحكومة الحميدية الاستبدادية التي سقطت على الحكومة الدستورية التي قامت ويطري عبد الحميد ويذم خلفه وأعوانه فهذا هو التحيز الى فئة . وقد اتهمته (يني غزته) وغيرها من الجرائد التركية بأنه كان يرجو من عبد الحميد فوق مانالهمن وسام أونوط وأنه وجد منه كتابة الى المابين يطلب فيها ان يدعى الى احتفال سكة حديد الحجاز ويعطى نفقة سفره الى الحجاز ، وهي مطامع في المال والجاه

أما نحن فاننا رأينا ظلم عبد الحميد في أنفسنا و بلادنا وأمتنا ودولتنا : رأينا المالية منهوبة ، والارض موظوبة ، والاملاك مغصوبة ، والمعارف مغضوبة ، والكتب ممنوعة ، والقضاء آلة سياسية ، والإدارة مدبرة الاستبداد ، والعسكرية قد سرى اليها الوهن والفساد ، والاجانب ينتقصون الارض من اطرافها ، ويسري نفوذهم فيها ، فجاهدنا على قدر عجزنا وضعفنا ، وجاهد غيرنا من الاحرار كل على قدره ، حتى اذا اذن الله بسقوط تلك

الحكومة الحميدية المفسدة ، حمدناه وأظهرنا سرورنا بنصره ، وشكرنا العاملين على الانقلاب مع شكره ، عملا بحديث «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» ولكننا لم نقدس الحكومة الجديدة ولم نتعصب لها في عمل من الاعمال بل نرشدها وننتقدها على خطإها ومنه ما يرى خبره في هذا الجزء عن فتن الشام، وعلى تقصيرها ومنه انها لم تعد الينا شيئاً من حقوقنا التي سلبها الاستبداد منا، فلا نقول إنا بلغنا بها أعلى عليين، وانما نقول انها محل الرجاء وكنا مما قبلها يائسين . فهل من العدل ان يقول صديقنا ان كلامنا لا يعتد به لا نا متحيزون متعصبون ، وان كلامه هو الذي يعتد به لانه يشهد لنفسه انه أوسع علما وأشد إخلاصا ؟

قلت من قبل انني أحسن الظن فيه وأقول الآن ان ظني فيه لم يتغير وان أصر على مدح عبد الحميد بعد البيان ، كما يحكم عليه الوجدان، ولا أعد ما ذكرته الجرائد التركية قادحا في اخلاصه ، ولكني أوقن بأنه لا يعرف من حال الحكومة الحميدية عشر معشار ما أعرف أنا وأمثالي اذ ليس عنده الا سمعيات قليلة يصدق بعضها ويكذب بعضا بحسب فكره ووجدانه، وأما معلوماتنا فتدخل من ابواب اليقينيات الستة وهي كثيرة جدا . واذا كانت الغيرة على الدولة والاخلاص لها تقدر الموازنة بينهما في أنفسهما فدلائلهما فينا أقوى من دلائلهما عنده لاننا تحملنا الايذاء والبلاء في أنفسنا وأهلينا وأموالنا وآثرنا ذلك على الاموال والرتب والاوسمة ، فهل عنده شيء من مثل هذه الدلائل على حب الدولة والاخلاص لها وهما مما لا ننكرهما عليه؟

(٩) احتج مناظرنا على كلمته الشنيعة في مولانا وخليفتنا السلطان محمد الخامس ايده الله بروح منه بقول جمعية الاتحاد وشوكت باشا انه لم يترك حوله احد من انصار العهد القديم لا من رجال المعية ولا من الخدم والحشم ! ! !

انني على كثرة ما انكرت على صاحبي من اقواله وآرائه وحججه في موضوع مناظرتنا لم ار أغرب من قوله هذا وما كان يخطر في بالي ان يقوله مثله وهو من أهل العلم والسياسة . ان مولانا السلطان محمداً لم تكن له حاشية عظيمة من أهل السياسة الذين يعتمد عليهم فيقال ان إبعاد شوكت باشا أو غيره إياهم عنه واستبدال غيرهم بهم جعله غير قادر على التصرف حتى يصح ان تقال فيه تلك الكلمة المنكرة، وانما كان حوله جواسيس عبد الحميد ليسوا من أهل السياسة، بل من أهل الفساد والسعاية ، ولم يكن يثق بأحد

منهم ، وهو الآن يرى جميع الوكلاء وأركان الدولة ومن شاء من غيرهم ويكاشفهم بما يريد وكذلك كان جميع السلاطين قبل عبد الحميد لا عمل لهم الا بواسطة حكومتهم ولم تكن حاشيتهم إلا حاشية خدمة ولكن عبد الحميد اسس حكومة المابين ليحارب بها الدولة والامة وقد فعل وظفر زمنا ثم كان عاقبة امره خسرا

* * *

﴿ ذيل للرد يدخل في باب الاخبار والاراء ﴾

فيما نشر في عدد ٨٦٦ من جريدة بيروت الرسمية التي صدرت في ٢٨ المحرم سنة ١٣٢٤ بالتركية والعربية في اتهامنا بالجناية وجلبنا بالقوة أحياء أو ميتين لمحكمة الجزاء بطرابلس كما هو معنى « اخذ وكرفت » وهو

(طرابلس شام بدايت محكمه سي جزا)

« دائره سندن »

مصره فرار والمنار هذيانامه سنده نشريات خائنانه وملعنتكارانه يه اجتسار ايتمك ماده سندنطولايى مظنون وفرارده بولنان طرابلس شام سنجاغنه تابع قلمون قريه سي اهاليسندن وهذيانامهٔ مذكوره صاحب ومحررى محمد رشيد رضا ايله هذيانامهٔ مذكوره يه دخالت ونشريات ملعنتكارانه يه اشتراك ايلدكلرى ادعاسيله مظنون ومرقوم رشيدك برادرى أولوب موقوف بولنان ابراهيم أدهم وينه مصره فرار وأرباب فساده التحاق ايدن ديكر برادرلرى أحمد حمدى وحسين وصفى ايله طرابلس شاملى عبد القادر مغربينك حركات خائنانه وملعنتكارانه لرندن طولايى أصول محاكمات جزائيه نك مواد مخصوصه سي احكامنه توفيقا طرابلس شام جنايت محكمه سنده محاكمه لرى اجرا قلنمق اوزره جزا قانوننامهٔ همايوننك اللى سكزنجى ماده سى موجبنجه بيروت ولايتى هيئت اتهاميه سنجه جنايتله اتهاميـنه قرار ويرلديكندن متهمون مرقومونك هر نره ده كوريلورلر ايسه طوتيلوب محكمهٔ مذكوره توقيفخانه سنه تسليملرى لازم كله جكى باجمله ضابطهٔ عدليه مأمورلرينك معلومى أولمق أوزره اشبو اخذ وكرفت مذكره سنك خلاصه سى بيروت رسمى غزته سنه درج واعلان أولنمق أوزره تنظيم أولندى .

(من دائرة جزاء محكمة البداية)

« في طرابلس الشام »

بما ان محمد رشيد رضا من أهالي قرية القلمون التابعة للواء طرابلس الشام الفار إلى مصر وصاحب ومحرر جريدة المنار الهذيانية والمظنون عليه بالتجاسر على نشر مواد الخيانة والملعنة في الورقة المذكورة وكلا من أخيه ابراهيم أدهم الموقوف والمظنون عليه باشتراكه في تلك النشريات اللعينة وأخويه أحمد حمدي وحسين وصفي وعبد القادر المغربي من أهالي طرابلس الشام الفارين الى مصر أيضا والملتحقين بأرباب الفساد قد اتهمتهم الهيئة الاتهامية في ولاية بيروت بالجناية توفيقا للمادة ٥٨ من قانون الجزاء الهمايوني ليحاكموا في محكمة الجناية في طرابلس الشام توفيقاً لاحكام المواد المخصوصة من أصول المحاكمات الجزائية وذلك بالنظر لحركاتهم الجنائية اللعينة فعلى جميع مأموري ضابطة العدلية ان يلقوا القبض عليهم أينما وجدوا ويسلموهم لمحل توقيف المحكمة المذكورة ولأجل ان يكون ذلك معلوماً عند المأمورين المذكورين جرى تنظيم هذه المذكرة (اخذ وكرفت) لتنشر خلاصتها في جريدة بيروت الرسمية .

(الطبيب محمد إسماعيل الأجيري الهندي)

زارنا في أوائل هذا الشهر المبارك هذا الطبيب فعلمنا منه انه جاء من القدس الشريف وانه جاء في العام الماضي مع أهله الحجاز فأدوا الفريضة وأقاموا في مكة المكرمة ثم في المدينة المنورة عدة أشهر ثم سافروا الى القدس فأقاموا فيها مدة ثم عادوا منها في أواخر الشهر الماضي محرمين بالعمرة وسيعودون بعدها الى بمبي وهي موطنهم وبلد اقامتهم . وقد كان هذا الطبيب يعالج جميع المرضى في البلاد المقدسة بغير أجرة ابتغاء مرضاة الله تعالى وقد كتبوا له شهادات في الحرمين ختمها الجم الغفير من العلماء والشرفاء وغيرهم وصدقت عليها الحكومة لا سيما في المدينة المنورة فنسأل الله تعالى ان يجزيه خير الجزاء ويجعله قدوة صالحة للاطباء

وقد علمنا منه انه ماجاء القاهرة الا لاجل زيارتنا فنشكر له ذلك وقد سألناه عن افكار مسلمي الهند في الانقلاب العثماني وهل يصح ما قيل ان اكثرهم يسيئون الظن بالدولة الآن لحسن ظنهم في السلطان عبد الحميد المخلوع . فقال ان في الهند كذا مليونا من المسلمين اكثرهم لا يعرف السياسة ولا يهمهم من امرها شيء قط ولكن الذين يقرؤن الجرائد وقليل ماهم يتبعون رأي جرائدهم في ذلك

عليه وسلم في حياته بطلب الدعاء منه و بين في هذا المقام وفي مواضع أخرى أن ما كان يطلب من النبي (ص) في حياته لا يطلب منه بعد موته وان كان حيا عند الله تعالى في عالم الغيب كما أنه لا يطلب منه غير ذلك مما كان يطلب منه في حال حياته كالدعاء والاستسقاء والعلم واستدل على ذلك بعدم طلب الصحابة ذلك عند قبره أو مع البعد عنه و بعدولهم عن التوسل به في الاستسقاء الى التوسل بالعباس وغيره وذكر مسألة الاستسقاء في عدة مواضع واجتهاد الصحابة وما انفرد به بعضهم وخالف الجمهور وكونه خطأ لا يؤخذ به

وتكلم عن مسائل الشياطين واضلالها الناس وتمثلها لهم وخدمتها لهم واشتباه ذلك بالكرامات وكذا عن الاستغاثة والتعوذ بهم والرقية والعزائم باسمائهم وعن وسوستهم وإغوائهم وسلطانهم على غير المؤمنين

وان القارئ ليجد في هذا الكتاب من دقائق التفسير ومعاني الاحاديث وأسرار التشريع مالا يجده في غير كلام المؤلف من العلماء ويجزم بأن ما انفرد به من البيان والتحقيق فيها هو الحق

مثال ذلك كلامه في الدعاء والسؤال والحلف وكيفياتها والفرق بينها وحكمها وحكمة ما يجوز منها وما لا يجوز ومن ذلك معنى كون الدعاء عبادة فلا يدعى غير الله ، والسؤال بالمخلوق وسؤاله والسؤال بما هو سبب للاجابة كالرحم والعمل الذي يقتضي الاجابة والسؤال بما ليس كذلك كالأمور الاجنبية التي ليست أسبابا وكالذوات والاشخاص التي لادخل لها في السببية وسؤال الله بحق بعض خلقه وهل لأحد حق عليه أم لا ، و بجاه الانبياء وهل الجاه الذي منحه الله لبعضهم يكون سببا للاجابة غيرهم اذا ذكره أم لا ، والفرق بين حلفنا وإقسامنا بالمخلوقات و بين إقسامه تعالى بها في القرآن وذكر أنواع هذه الاقسام وحكمتها الخ الخ

وفي الكتاب تكرار لبعض المسائل يذكر المسألة ثم يعيدها بالمناسبة والمصنف يتعمد لذلك لعلمه أن هذه المسائل التي أخطأ فيها كثير من الناس حتى أدى ببعضهم الى الشرك الاصغر أو الاكبر لا تنجلي وتستقر في الاذهان الا بذلك

صفحات الكتاب مئتان وثمنه سبعة قروش صحيحة وأجرة البريد قرش صحيح

﴿ فتن رمضان ، في دمشق الشام ﴾

يقول أحد الدمشقيين العارفين ان لأهل دمشق في كل رمضان فتنة يلهون بها فاذا أوشك الشهر ان ينقضي بغير فتنة حاص محبو الفتن ثم يسعون في اثارة فتنة صغيرة أو كبيرة بقدر الامكان

ونقول ان كبرى فتنهم الرمضانية ثلاث متشابهة في ثلاث : في تدبير أكابر الحشوية المستبدين لها ، وفي جعل مبدأها الانتقام من بعض الأحرار طلاب الاصلاح ، وفي كون الغاية منها التنكيل بجماعة معروفة ذنبها عند أولئك الأكابر انها تكره الاستبداد وأهله ، وتحب الاصلاح وتعمل له

(الفتنة الأولى) هي التي أثاروها على السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من بضع سنين لانه ألف رسالته المشهورة (الفقه والتصوف) وكانوا يريدون قتله وقتل من أشرنا اليهم من محبي الاصلاح ولكن الحكومة الحميدية سبقت رعيتها المخلصة الى الانتقام منه وامره مشهور

(الفتنة الثانية) هي التي أثاروها على كاتب هذه السطور في أواخر رمضان السنة الماضية وهي مشهورة ، وقد ضعفت الحكومة الدستورية عن مداركتها بما يربي مثيري الفتن ، ولذلك نشروا بعدها جمعية «ولقان» التي قامت على الدستور ولو نجحت تلك الجمعية في الاستانة لكانت دمشق استانة ثانية لها بتدبير أكابر المجرمين في الباطن وأصاغرهم في الظاهر كالشيخ صالح المغربي والشيخ عبد القادر الخطيب اللذين كانا يقولان اقتلوا هؤلاء الدستوريين أو الوهابية فانهم ٥٠ رجلا

(الفتنة الثالثة) ما أثاروه في هذا العام على محمد افندي كرد علي صاحب جريدة المقتبس أولا ثم على سائر أعدائهم الذين أشرنا اليهم ، وقد علمنا انهم ألفوا جمعية للانتقام من الاحرار والمصلحين وانهم بدأوا بصاحب المقتبس لانه شدد النكير في جريدته على أعداء الدستور ومثيري فتنة رمضان الماضي فاتهموه أولا بمشايعة جمعية « ولقان » على الدستور ففتشت الحكومة مطبعته وادارته ولم يثبت عليه في التحقيق شيء فعلموا ان هذه التهمة لا تسمع في مثله فاتهموه وسائر الاحرار ومحبي الاصلاح الذين كانوا يضطهدونهم في زمن الاستبداد بالسعي الى «الخلافة العربية» وهي الكلمة التي كانوا هم واضرابهم ينتقمون بها ممن شاؤا في العصر الحميدي

أما كرد علي فرجل كان وما زال يكره الاستبداد وقد أصابه شره ففر الى مصر وكان فيها بعيداً عن السياسة وأهلها وقد دعوناه أكثر من مرة للدخول في جمعية الشورى العثمانية فأبى وهو لا يخلو من غرارة وسذاجة فما هو والله بأهل للسياسة ولذلك يسقط من قلمه وينشر لغيره ما يمكن ان يعده العدو شبهة على سوء قصده وما هو بالسيء القصد ، ومن ذلك انه كتب عن بلاغ شيخ الاسلام عبارة فهما من بعض الناس تشعر بأن الدولة العثمانية ليست دولة خلافة فأخطأ بذلك واعترف بخطإه في اليوم الثاني ولكن الحكومة بادرت الى الحكم عليه بالجناية وبابطال جريدته ومطبعته فجرأ ذلك مثيري الفتن في كل زمن على سائر الاحرار فوشوابهم واتهموهم

المتهمون الآن بالخلافة العربية الوهمية هم أخلص المخلصين للدولة والملة في الشام فمنهم أفضل العلماء كالبيطار والقاسمي وأشهر الاحرار كعبد الرحمن بيك اليوسف وكرد علي ومنهم جمعية النهضة السورية وهم احداث لا يعرفون السياسة . فاذا كانت حكومة الدستور تهين أمثال هؤلاء باغراء الرجعيين مثيري الفتن أفلا تكون الحكومة الحميدية خيراً منها وأعدل اذ كانت تعلم انهم أعداؤها ولم ينلهم منها الا المراقبة وتفتيش الكتب؟ اعقلوا أيها الحكام وتبصروا وأقيموا الدستور بالقسط والا كانت العاقبة خطراً على الدولة والامة وقد قال الرسول (ص) « اذا ابتغى الامير الريبة في الناس أفسدهم » رواه أبو داود